الفصل الرابع

في هذا الفصل نتناول حياة العضو الرابع من هذه الأسرة المباركة...

وهذا العضو المبارك هو نبي الله يحيى ـ عليه السلام ـ الشهيد ابن الشهيد

صفات نبي الله يحيى عليه السلام

الصفة الأولى : الأمر بأخذ الكتاب بقوة .

الصفة الثانية : أعطى الحكمة وهو صغير .

الصفة الثالثة : الحنان .

الصفة الرابعة : الذكاء .

الصفة الخامسة : وكان تقيا .

الصفة السادسة : براً بوالديه .

الصفة السابعة: لم يكن جبارا عصيا .

الصفة الثامنة : لم يكن عصيا .

الصفة التاسعة : سلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا كلمات لنبي الله يحيى عليه السلام .

صنائع المعروف تقي مصارع السوء .

obeikandl.com

صفات نبي الله يحيى

إنه أول مولود يولد وقد زوده الله عز وجل بمؤهلات وصفات قلما يتصف بها الكاملون من الرجال ، ولكنه زود بها من أجل إعانته على احتمال ما يكلفه الله إياه عندما ناداه ـ فيقول الحق تعالى : ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ١٢ـ١٥].

هذه هي مؤهلات أو صفات نبي الله يحيى عليه السلام، من الذي أعطاه هذه الصفات وتلك المؤهلات؟ من طبعه عليها ؟ إنه العلي القدير الذي يقول للشيء كن فيكون . . .

الصفة الأولى : ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ أُمر بأخذ الكتاب :

إن الحق تعالى يبدأ بهذا النداء العلوي ليحيى قبل أن يتحدث عنه بكلمة لأن مشهد النداء مشهد رائع عظيم ، يدل على مكانة يحيى ، وعلى استجابة الله عز وجل لنبيه زكريا عليه السلام في أن يجعل له من ذريته ولياً ، يحسن الخلافة بعده في العقيدة والشريعة ، فها هو ذا أول موقف ليحيى هو موقف انتدابه ليحمل الأمانة الكبرى ، يا يحيى خذ الكتاب بقوة .

والمراد بالكتاب ، التوراة كتاب بني إسرائيل من بعد موسى ، وعليه كان يقوم أنبياؤهم يعملون به ويحكمون ، وقد ورث يحيى أباه زكريا ، ونودى ليحمل العبء وينهض بالأمانة في قوة وعزم ، لا يضعف ولا يتهاون ولا يتراجع عن تكليف الوراثة .

الصفة الثانية : أعطى الحكمة وهو صغير :

الحق سبحانه وتعالى بين لنا صفة أخرى جليلة وعظيمة ، وهي أن الله عظمت قدرته رزقه الفهم والعلم والعزم والإقبال على الخير ، بطريقة منقطعة النظير ، وهو حدث صغير ، فذات يوم قال الصبيان ليحيى بن زكريا : اذهب بنا نلعب ، قال: ما

للعب خلقنا[١] .

وقال قتادة : كان ابن سنتين أو ثلاث ، وقال مقاتل: كان ابن ثلاث سنين ، ويقول ابن عباس رضي الله عنهما : من قرأ القرآن قبل أن يحتلم فهو ممن أوتي الحكمة ،هذا وقد جاء في تفسير هذه الآية من طريق عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال : «**كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا**»[٢] .

وقال قتادة : إن يحيى عليه السلام لم يعص الله قط بصغيرة ولا كبيرة ولا هم بامرأة .

وقال مجاهد : كان طعام يحيى العشب ، وكان للدمع في خديه مجار ثابتة ، أتاه الحكمة صبياً ، فكان فذا في زاده ، كما كان فذا في اسمه وفي ميلاده ، فالحكمة من العادة بل ومن سنة الله في خلقه ، أن تأتي متأخرة ولكن يحيى قد زود بها صبياً على غير العادة ، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء وعطاؤه سبحانه لا حدود له ، فلا يحد ولا يوصف سبحانه .

الصفة الثالثة : الحنان : ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ :

من فضل الله على نبي الله يحيى عليه السلام ، أن الله عز وجل جبله على العطف والحنان فهو مجبول مطبوع عليه لا يتكلفه ولا يتعلمه ، والحنان صفة ضرورية للنبي ، المكلف برعاية القلوب والنفوس وتألفها واجتذابها إلى الخير في رفق ولين .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : رحمة من عندنا ، ولذا قال عكرمة وقتادة والضحاك ، وزاد لا يقدر عليها غيرنا ، وقال عطاء بن أبي رباح: تعظيما من لدنا .

وفي مسند الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «يبقى رجل في النار ينادي ألف سنة يا حنان يا منان»[٣] ،وقد يثنى كما جاء في قول طرفة :

أبا منذر أفنت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهو من بعض

---

(١) مرجع سبقت الإشارة إليه بتصرف يسير .

(٢) زيادات الزهد لابن مبارك .

(٣) تفسير الجلالين صـ٣٤٥ .

الصفة الرابعة : ﴿ وَزَكَاةً ﴾ :

كما من الله عليه بهـذه الخصال الرفيعة كذلك تفضل عليـه بالعفة ونظافة القلب والطبع ، يواجه بها أدران القلوب ودنس النفوس ، فيطهرها ويزكيها . . .لذلك يقول ابن عباس : طُهر فلم يعمل بذنب .

وقال ابن كثير : الطهارة من الدنس والآثام والذنوب .

وقال قتادة : الزكاة العمل الصـالح ، بل قالوا: إنه لم يهم بمعصية أبدا، وقيل: المعنى زكاة بحسن الثناء عليه كما تزكي الشـهود إنساناً ، وقيل: الزكاة صدقة به على أبويه وقيل : الزكاة التطهير والبركة والنعمـة في وجوه الخير والبر ، أي جعلناه مباركا للناس يهديهم . . .والله أعلم .

الصفة الخامسة : ﴿ وكَانَ تَقِيًّا ﴾:

قال مجـاهد : كان طعام يحيى بن زكـريا العشب ، وإن كان ليبكي من خـشية الله، ما لو كأن القار على عينيه ، لخرقته دموعه ، ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى في وجهه .

وقد ذكروا أن يحيى عليه السلام : كـان كثير الانفراد من الناس ، إنما كان يأنس إلى البراري ويأكل من ورق الأشـجار ، ويرد ماء الأنهار ، ويتغـذى على الجراد في بعض الأحيان ويقول: من أنعم منك يا يحيى ؟

وروى ابن عسـاكر أن أبويه خرجا يطلبـانه ، فوجداه عند بحيـرة الأردن ، فلما اجتمعا به أبكاهما بكاء شديداً ، لما هو فيه من العبادة والخوف من الله عز وجل. . .

وقال ابن المبـارك: عن وهب بن الورد ، قال: فـقد زكريا ابنه يحـيى ثلاثة أيام فخرج يلتمـسه في البرية ، فإذا هو قد احتـضر قبرا ، وأقام فيـه يبكي على نفسه ، فقـال : يا بني ، أنا أطلبك من ثلاثة أيام ، وأنت في قبر قـد احتضرته قـائما تبكي فيه، فـقال : يا أبت ، ألست أنت أخبرتني أن بين الجنة والنـار مفازة ، لا تقطع إلا بدموع الباكين فقال له: ابك يا بني ، فبكيا جميعاً [١].

---

(١) زيادات الزهد لابن المبارك .

وروى ابن عساكر عنه أنه قال : إن أهل الجنة لا ينامون للذة ما هم فيه من النعيم، فكذا ينبغي للصديقين ألا يناموا لما في قلوبهم من نعيم المحبة لله عز وجل. .

ويقول الفخر الرازي ـ رحمه الله : إنه يتضمن غاية المدائح لأنه هو الذي يتقي نهى الله فيجتنبه ويتقي أمره فلا يهمله ، وأولى الناس بهذا الوصف من لم يعص الله ولا يهم بمعصية وكان يحيى عليه السلام كذلك [١].

الصفة السادسة :﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ ﴾:

إنه كان كثير البر بهما ، محسناً إليهما ، لطيفاً بهما ، لين الجانب لهما لقد كان ميلاد يحيى براً بوالديه أيضاً والله ، فقد أصلح الله لزكريا زوجه ، فجعلها ولوداً بعد العقم .

كما قال ابن عباس وهذه سنة الله في إكرام أنبيائه وأوليائه :

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشنى

وذلك لأنه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى مثل تعظيم الوالدين ، ولهذا السبب قال تعالى :﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [الإسراء:٢٣] .

الصفة السابعة : ﴿ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ :

المراد وصفه عليه السلام بالتواضع ولين الجانب وذلك من صفات المؤمنين كقوله تعالى :﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقال تعالى :﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ ولأن رأس العبادات معرفة الإنسان نفسه بالذل ومعرفة ربه بالعظمة والكمال ، ومن عرف نفسه بالذل وعرف ربه بالكمال كيف يليق به الترفع والتجبر ، ولذلك فإن إبليس لما تجبر وتمرد صار بعيداً عن رحمة الله تعالى وعن الدين .

وقيل :الجبار هو الذي لا يرى لأحد على نفسه حقاً وهو من العظم والذهاب بنفسه عن أن يلزمه قضاء حق أحد ، وقال سفيان في قوله :﴿ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ : إنه الذي يقبل على الغضب،والدليل عليه قوله تعالى :﴿ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ ﴾ .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ٢صـ٤٩ .

الصفة الثامنة :بـ ﴿عَصِيًّا﴾ :

عصيا صفة مبالغة في المعصية ، وهو أبلغ من العاصي كما أن العليم أبلغ من العالم ، ولم يكن عصيا بل كان تقيا .

الصفة التاسعة :﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ :

هذه الأوقات الثلاثة أشد ما تكون على الإنسان فإنه ينتقل في كل منها من عالم إلى عالم آخر فيفقد الأول بعد ما كان ألفه وعرفه ويصير إلى آخر ولا يدري ما بين يديه ، ولهذا يستهل صارخاً إذا خرج من بين الأحشاء وفارق لينها وضمها، وينتقل إلى هذه الدار ليكابد همومها؛ ولذلك إذا فارق هذه الدار وانتقل إلى عالم البرزخ بينها وبين دار القرار ، وصار بعد سكنى الدور والقصور إلى عرصة الأموات وسكان القبور، وانتظر هناك النفخة في الصور ليوم البعث والنشور ، فمن مسرور ومحبور ومن محزون ومثبور وبين صغير وكبير وفريق في الجنة وفريق في السعير، ولقد أحسن بعض الشعراء حيث يقول[1] :

ولدتك أُمك يا ابن آدم باكياً مستصرخاً والناسُ حَوْلكَ يَضْحكُونُ سروراً

فاحرِصْ لنفسكَ أن تكون إذا بكَوا في يومِ موتِك ضاحكاً مسروراً

ولما كانت هذه المواطن الثلاثة أشق ما تكون على ابن آدم ، سلم الله على يحيى في كل موطن منها ، قال الحسن: إن يحيى وعيسى التقيا فقال له عيسى: استغفر لي أنت خير مني ، فقال له الأخير : استغفر لي أنت خير مني ، فقال له عيسى: أنت خير مني سلمت على نفسي وسلم الله عليك فعرفا والله فضلهما [2].

الصفة العاشرة : ﴿سَيِّدًا﴾ :

هذه صفة أخرى من صفات الشهيد ابن الشهيد نبي الله يحيى ابن نبي الله زكريا عليهما السلام ، قد أشار القرآن الكريم إليها في قوله: ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ .

قال سعيد بن جبير : السيد: الحليم .

---

(١) التفسير الكبير مفاتيح الغيب جـ٢١صـ١٧٦ .

(٢) البداية والنهاية جـ٢صـ٥٠ .

قال قتادة : السيد : سيداً في العلم والعبادة : وكيف لا وهذه الصفة أخبر الله عز وجل عنها ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : السيد الحليم التقي .

قال سعيد بن المسيب : هو الفقيه العليم ، وقال ابن عطية: السيد في خلقه ودينه ، وقال عكرمة : هو الذي لا يغلبه الغضب ، وقال ابن زيد : هو الشريف ، وقال مجاهد وغيره : هو الكريم على الله عز وجل إلى غير ذلك مما قاله السادة التابعون والعلماء الأفاضل .

ومما نوقن به أن هذه الصفة شريفة كريمة ، قلما توجد في شخص من بني البشر، وكون نبي الله يحيى عليه السلام وصف وتخلق بها ، فحري بكل مسلم أن يتخلق ويتصف بها ، لأنها ذات مكانة عالية ، هذا وقد روي عن عبد الله بن عمرو. . رضي الله عنهما قال : ما أحد إلا يلقى الله بذنب ، إلا يحيى بن زكريا ثم تلا : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ ، ثم رفع شيئاً من الأرض ، فقال : ما كان معه إلا مثل هذا ، ثم ذبح ذبحاً[1].

الصفة الحادية عشرة : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ :

قال العلماء في هذه الصفة أقوالاً كثيرة منها ، ما قاله أبو العالية : هو الذي لا يولد له ولا ماء له ، وروي عن ابن عباس : الحصور هو الذي لا ينزل الماء ـ أي المني ـ وقيل : الحصور هو الذي لا يصل النساء إلى غير ذلك من هذه الأقوال التي لا داعي إلى ذكرها. . .

وقد عقب القاضي عياض بقوله : اعلم أن ثناء الله على يحيى أنه كان حصورا ليس كما قال بعضهم أنه كان هيوبا ولا ذكر له ، أنكر هذا حذاق المفسرين ، ونقاد العلماء وقالوا : هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام ، وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصور عنها وقيل: مانعاً نفسه من الشهوات هذه من ناحية .

ومن ناحية أخرى . . .قد تبين لنا أن عدم القدرة على النكاح نقص، وإنما

---

(١) تفسير ابن كثير جـ١ صـ٣٦١ .

الفضل في كونها موجودة ثم ليست له شهوة في النساء وبان لنا الفضل في كونها موجودة ثم يمنعها إما بمجاهدة كعيسى أو بكفاية من الله عز وجل كيحيى عليه السلام ثم هي في حق من قدر عليها وقام بالواجب فيها ولم تشغله[١] عن ربه درجة وهي درجة نبينا ﷺ .

لم يشغله كثرتهن عن عبادة ربه ،بل زاده ذلك عبادة يتحصن بها وقيامه عليهن واكتسابه لهن وهدايته إياهن بل قد صح أنها ليست من حظوظ دنياه هو وإن كانت من حظوظ دنيا غيره .

فقال ﷺ : «**حبب إليّ من دنياكم**». هذا لفظه ، والمقصود أنه مدح ليحيى عليه السلام بأنه حصور ليس أنه لا يأتي النساء ، بل معناه وكما قاله هو وغيره :

أنه حصور عن الفواحش والقذورات ، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن ، بل زاد بعضهم أنه يفهم من ذلك وجود النسل له من دعاء زكريا . . . حيث قال :﴿ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ قال بعض العلماء: والمراد من هذا الدعاء أن الله يرزقه ولداً وله ذرية ونسل وعقب ، والله سبحانه وتعالى عنده العلم [٢].

لذا يقول الرسول ﷺ : « **حبب إليّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني الصلاة** ».

---

(١) الشفاء للقاضي عياض صـ٣٤٥ .

(٢) نفس المرجع السابق صـ٣٤٦ .

كلمات لنبي الله يحيى

قال الإمام أحمد فيما يروي عن الحارث الأشعري ، أن النبي ﷺ قال : « إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، وكاد أن يبطئ فقال له عيسى عليه السلام : إنك قد أُمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن ،فقال : يا أخي إني أخشى إن سبقتني أن أُعذب أو يخسف بي ، قال : فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن وأولهن أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً ، فإن مثل ذلك مثل من اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب وجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده ، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك ، وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئاً...

وآمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه قبل عبده ما لم يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا ...وآمركم بالصيام فإن الله مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة كلهم يجد ريح المسك ، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك..وآمركم بالصدقة ، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال :هل لكم أن أفتدي نفسي منكم فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه ، وآمركم بذكر الله عز وجل كثيرا ، فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا في أثره ، فأتى حصنا حصينا فتحصن فيه ، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله عز وجل ».

قال : قال رسول الله ﷺ : « وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن ، بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله ، فإن من خرج عن الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن دعا بدعوة الجاهلية فهو من حثا

جهنم» . قال : وإن صام وصلى ؟ قال :**«وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ، ادعوا المسلمين بأسمائهم بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله عز وجل»**(١) .

فكن أخي الحبيب من أولي الألباب :﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [آل عمران: ١٩١] .

لأن الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل هو العمدة في هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر .

وحسبك أخي الحبيب . .أنك بذكرك لله تعالى تكون جليسا لملك الملوك سبحانه الذي يقول في الحديث القدسي : « **أنا جليس من ذكرني**» وأنك تفوز بخير عظيم مع :﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٣٥] وأنك تكون في حصانة من كيد الشيطان وإلا كان قرينا لك ، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ [الزخرف: ٣٦].

واحذر أن تكون من هؤلاء الذين يذكرون الله بدون خشوع . . .﴿ **وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** ﴾ [الكهف: ١٠٤] واعلم أنه من آداب الذكر أن تكون حاضر القلب طاهراً ، مستقبلاً القبلة وعلى أحسن حال . .

فلاحظ كل هذا واذكر الله تعالى دائماً وأبداً بكل جوارحك وبدون تحريف واستحضر عظمته سبحانه وتعالى وأنت في حضرته عسى أن تكون من أولي الألباب:

واغتنم ركعتين في ظلمة الليل ... إذا كنت فارغاً تستريحا

وإذا ما هممت بالخوض الباطل ... فاجعل مكانه تسبيحاً

واغتنام السكوت أفضل ... من خوض وإن كنت بالحديث فصيحاً

واسمع وأطع ، وجاهد في سبيل الله ، والزم الجماعة عملاً بحديث رسول الله ﷺ وأمر الله تعالى في قوله :﴿**وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ**

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ٢٠٢) ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده (١١٦١) ورواه الحاكم والطبراني وابن عساكر .

﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [التغابن: ١٦] .

واعلم أن الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: **«رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد والهجرة قد تكون هربا وقد تكون طلباً »**(١).

فهجرة الهرب تنقسم إلى ستة أقسام :

١ـ الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام. . وهي باقية إلى يوم القيامة وهي التي انقطعت بالفتح في قوله ﷺ : **«لا هجرة بعد الفتح»**(٢) .

٢ـ الخروج من أرض البدعة قال الإمام ابن القيم :سمعت مالكا يقول : لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يسب فيها السلف .

٣ـ الخروج من أرض يغلب عليه الحرام ، فإن طلب الحلال فريضة على كل مسلم .

٤ـ الفرار من الأذية في البدن. . وأول من فعل ذلك الخليل إبراهيم عليه السلام حين خاف من قومه فقال: ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ [العنكبوت: ٢٦] وقال تعالى مخبراً عن موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص: ٢١] .

٥ـ الخروج . .من خوفه المرض إلى بلد لا وباء فيها .

٦ـ الخروج . .خوفا من الأذية في المال. . . فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه.

وأما هجرة الطلب :

فقد تكون طلباً للدين ، وقد تكون طلباً للدنيا ، وفي ذلك يقول الحق تعالى: ﴿ **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً** ﴾ [النساء: ١٠٠] .

وهجرة الدين منها :

١ـ سفر العبرة . .وفي ذلك يقول الله عز وجل :﴿ **أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا**

(١) من حديث رواه الترمذي وقال: حسن .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [فاطر: ٤٤] وقد طاف ذو القرنين في الدنيا ليرى عجائبها .

٢ـ سفر الحج إلى بيت الله الحرام .

٣ـ سفر الجهاد .

٤ـ سفر المعاش .

٥ـ سفر التجارة والكسب الزائد على القوت ولو في الحج وهو جائز لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٨] (١).

٦ـ قصد البقاع الشريفة وشد الرحال إليها وهي المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى فك الله أسره .

٧ـ قصد الثغور للرباط بها .

٨ـ زيارة الإخوان لله تعالى .

---

(١) من وصايا الرسول ﷺ ، المجلد الأول، ص١٣ وما بعده .

obeikandl.com

صنائع المعروف تقي مصارع السوء

فكن أخا الإسلام عابداً حقيقياً . . .واحذر أن تكون مشركاً بالله لأنه سبحانه: ﴿لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] .

واذكر قوله تعالى :﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥] .

وإياك أن تكون كهذا العبد الذي يعمل ويؤدي إلى غير سيده فأنت لا ترضى أن تعامل كذلك .

وحافظ على أداء الصلاة التي فرضها الله عليك ، واحذر أن تكون من ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] وهم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها ، وكن من الرجال الذين ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور: ٣٧]، وإياك أن تلتفت في صلاتك . .فقد سئل المصطفى صلوات الله وسلامه عليه عن الالتفات في الصلاة فقال :« **اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**»(١) وقال :«لا يزال الله مقبلاً على العبد في صلاته ما لم يلتفت ، فإذا صرف وجهه انصرف عنه» (٢).

وأدي زكاة جسدك ، وذلك بأن تعود نفسك على الصيام فرضه ونفله فقد قال رسول الله ﷺ : «**لكل شيء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم ، والصيام نصف الصبر**» ، وقال :« **ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا**»(٣) .

وأد زكاة مالك كما فرض الله عليك ، وكن من ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤] وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، واعلم أن صنائع المعروف تقي مصارع السوء .

---

(١) حديث رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي .

(٣) رواه البخاري ومسلم .

قال رسول الله ﷺ : « **صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والمهلكات ، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة** » (١).

وعن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : « **صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وصدقة السر تطفئ غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر**»(٢).

وقال ﷺ : « **صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، والصدقة خفيا تطفئ غضب الرب ، وصلة الرحم زيادة في العمر ، وكل معروف صدقة ، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة**»(٣) .

قال المناوي :هذا تنويه عظيم بفضل المعروف وأهله، قال عليّ ـ كرم الله وجهه: لا يزهدك في المعروف كُفر من كفر ، فقد يشكره الشاكر أضعاف جحود الكافر ، قال الماوردي : فينبغي لمن قدر على ابتداء المعروف أن يجعله حذراً من فواته ، ويبادر ربه خيفة عجزه ، ويعتقد أنه فرض زمانه ، وغنائم إمكانه ، ولا يمهله ثقة بالقدرة عليه ، فكم من واثق بقدرة فاتت، فأعقبت ندماً ومعول على مكنة زالت فأورثت خجلاً ، ولو فطن لنوائب دهره ، وتحفظ من عواقب فكره ، لكانت مغارمه مدحورة ، ومغانمه محبورة .

وقيل : من أضاع الفرصة عن وقتها ، فليكن على ثقة من فواتها (٤).

وهذه هي قصة واقعية تبين لنا حقاً أن صنائع المعروف تقي مصارع السوء وتوضح كون الجزاء من جنس العمل . .

هذه القصة حدثت منذ مائة سنة تقريباً وهي واقعية ، وهذه القصة سُمعت من

---

(١) صحيح : رواه الحاكم عن أنس، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٦٨٩ والصحيحة رقم ١٩٠٨ .

(٢) حديث حسن: رواه الطبراني في الكبير ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع تحت رقم ٣٦٩١.

(٣) صحيح : رواه الطبراني في الأوسط عن أم سلمة، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٦٩٠ .

(٤) فيض القدير للمناوي جـ٢صـ٢٠٦ .

الإذاعة في ركن البادية من الإذاعة السعودية .

يذكر رجل يسمى ابن جدعان يقول : خرجت في فصل الربيع ، وإذا بي أرى إبلي سمان ، يكاد الربيع أن يفجر الحليب منها لكثرة الخير والبركة ، فنظرت إلى ناقة من نياقي ابنها خلفها ، وتذكرت جاراً لي له بُنيَّات سبع فقير الحال ، فقلت : والله لأتصدق بهذه الناقة ، وولدها الجاري . والله يقول :﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢] وأحب حلالي هذه الناقة ، يقول : فأخذتها وابنها وطرقت الباب على الجار ، وقلت: خذها هدية مني لك ، فرأيت الفرح في وجهه ، لا يدري ماذا يقول ، فكان يشرب من لبنها ويحتطب على ظهرها ، وينتظر وليدها يكبر ليبيعه وجاءه منها خير عظيم ، فلما انتهى الربيع وجاء الصيف بجفافه وقحطه ، تشققت الأرض وبدأ البدو يرتحلون يبحثون عن الماء والكلاء .

يقول: شددنا الرحال ، وظعنا من مكاننا نبحث عن الماء في الدحول ، والدحول هي حفرة في الأرض ، توصل إلى محابس مائية تحت الأرض لها فتحات فوق الأرض يعرفها البدو[١] .

يقول : فدخلت في هذا الدحل حتى أحضر الماء لنشربه ، وأولاده الثلاثة خارج الدحل ينتظرونه ،فتاه تحت الأرض ، ولم يعرف الخروج ، وانتظر أبناؤه يوماً ويومين وثلاثة حتى يئسوا ، قالوا: لعل ثعبانا لدغه ومات ، لعله تاه تحت الأرض وهلك ، وكانوا عياذا بالله ينتظرون هلاكه طمعا في تقسيم المال والحلال ، فذهبوا إلى البيت وقسموا المال وتذكروا أن أباهم قد أعطى ناقة لجارهم الفقير ، فذهبوا إليه وقالوا : أعد الناقة خيرا لك ، وخذ هذا الجمل مكانها ، وإلا سنسحبها عنوة الآن ، ولن نعطيك شيئاً .

قال : أشتكيكم إلى أبيكم .

قالوا : اشتكى إليه فإنه قد مات .

قال : مات ، كيف مات ؟ وأين مات ولِمَ لم أعلم بذلك ؟

---

(١) الجزاء من جنس العمل د/ سيد حسين جـ١صـ٥١٤ وبعده .

قالوا : دخل دحلاً في الصحراء ولم يخرج .

قال : ناشدتكم بالله اذهبوا بي إلى هذا الدحل ، ثم خذوا الناقة وافعلوا ما شئتم ولا أريد جملكم .

فذهبوا به فلما رأى المكان الذي دخل فيه صاحبه الوفي ذهب وأحضر حبلاً ، وأشعل شمعة ، ثم ربطه خارج الدحل ، وينزل يزحف على قفاه حتى وصل إلى أماكن فيها يحبو ، وأماكن فيها يزحف ، وأماكن يتدحرج ، وشم رائحة الرطوبة تقترب ، وإذ به سمع أنين الرجل عند الماء فأخذ يرهف تجاه الأنين في الظلام ، ويلتمس الأرض ، فوقعت يده على الطين ثم وقعت يده على الرجل ، فوضع يده على أنفاسه فإذا هو حي يتنفس بعد أسبوع ، فقام وجره ، وربط عينيه حتى لا تنبهر بضوء الشمس ، ثم أخرجه معه خارج الدحل ومرس له التمر وسقاه ، وحمله على ظهره ، وجاء به إلى داره ودبت الحياة في الرجل من جديد ، وأولاده لا يعلمون .

فقال: أخبرني بالله عليك أسبوعاً كاملاً وأنت تحت الأرض ولم تمت ، قال : سأحدثك حديثاً عجباً ، لما نزلت ضعت وتشعبت بي الطرق ، فقلت : أوي إلى الماء الذي وصلت إليه ، وأخذت أشرب منه ، ولكن الجوع لا يرحم ، فالماء لا يكفي ، يقول : وبعد ثلاثة أيام ، وقد أخذ الجوع مني كل مأخذ ، وبينما أنا متسلق على قفاي ، قد أسلمت وفوضت أمرى إلى الله ، وإذ بي أحس بدفء اللبن يتدفق على فمي .

يقول : فاعتدلت في جلستي ، وإذا بإناء في الظلام لا أراه يقترب من فمي فأشرب حتى أرتوي ، ثم يذهب ، فأخذ يأتيني ثلاث مرات في اليوم ، ولكنه منذ يومين انقطع ما أدري سبب انقطاعه ؟

يقول: فقلت له : لو تعلم سبب انقطاعه لتعجبت ، ظن أولادك أنك مت ، وجاؤوا إليّ وسحبوا الناقة التي كان الله يسقيك منها ، والمسلم في ظل صدقته[1] وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾ [الطلاق: ٢ ، ٣] .

---

(١) قصص واقعية عن بعض الموتى ، لمجموعة من العلماء .

وصدق رسول الله ﷺ حين قال : « السخي قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، بعيد من الجنة، قريب من النار ، ولجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل »(١).

هذا وقد جاء في حديث آخر: «تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل في أرض الظلال لك صدقة ، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وكل تحميدة وكل تهليلة صدقة»(٢)،

واحذر أن تكون من الذين يبطلون صدقاتهم بالمن والأذى قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦٤] .

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦٢] .

---

(١) هذا الحديث رواه الترمذي .

(٢) رواه البخاري .

أزف الرحيل

قال الحافظ ابن كثير : روى الحافظ ابن عساكر في المستقصى في فضائل الأقصى عن قاسم مولى معاوية ، قال: كان ملك هذه المدينة- يعني دمشق - هداد بن هداد - قد زوج ابنه بابنة أخي أربل ملكة صيدا ، وكان من جملة أملاكها سوق الملوك بدمشق ، وهو الصاغة العتيقة قال :

وكان قد حلف بطلاقها ثلاثاً ، ثم إنه أراد مراجعتها ، فاستفتى يحيى بن زكريا فقال : لا تحل لك حتى تنكح زوجا غيرك ، فحقدت عليه ، وسألته من الملك رأس يحيى بن زكريا ، وذلك بإشارة أمها ، فأبى عليها ، ثم أجابها إلى ذلك ، وبعث إليه، وهو قائم يصلي في مسجد جيرون من أتاه برأسه في صنية ، فجعلت الرأس تقول : لا تحل له ، لا تحل له ، حتى تنكح زوجاً غيره .

فأخذت المرأة الطبق وحملته على رأسها ، وأتت بها أمها ، وهو يقول كذلك فلما تمثلت بين يدى أمها خُسف بها إلى قدميها إلى حقويها ، وجعلت أمها تولول والجواري يصرخن ويلطمن وجوههن ، ثم خسف بها إلى منكبها ، فأمرت أمها السياف أن يضرب عنقها ، لتتسلى برأسها ، ففعل ، فلفظت الأرض جثتها عند ذلك، ووقعوا في الذل والفناء ، ولم يزل دم يحيى عليه السلام يفور حتى قدم بختنصر فقتل عليه خمسة وسبعين ألفا .

وقال سعيد بن عبد العزيز : هي دم كل نبي ولم يزل يفور حتى وقف عنده أرميا - أحد أنبياء بني إسرائيل - فقال: أيها الدم أفنيت بني إسرائيل، فاسكن بإذن الله فسكن فرفع السيف وهرب من هرب من أهل دمشق إلى بيت المقدس فتبعهم إليها فقتل خلقا كثيراً لا يحصون كثرة وسبى منهم ثم رجع عنهم .

وقد جاء في الخبر . . .أن امرأة ذلك الملك وراسلته فأبى عليها ، فلما يئست منه تحيلت في أن استوهبته من الملك ، فتمنع عليها الملك ثم أجابها إلى ذلك فبعث من قتله وأحضر إليها رأسه ودمه في طست . .

إلى غير ذلك من هذه الأخبار التي تؤكد قتل نبي الله يحيى عليه السلام وموته شهيد . . .وروى الحافظ ابن عساكر من طريق الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد . . . قال: رأيت رأس يحيى بن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق أخرج من تحت ركن من أركان القبلة الذي يلي المحراب مما يلي الشرق ، فكانت البشرة والشعر على حاله لم يتغير . . .وفي رواية كأنما قتل الساعة [١].

وهكذا كانت نهاية هذا الشهيد العظيم ابن الشهيد سلام الله عليهم جميعاً .

(١) مرجع سبقت الإشارة إليه .

obeikandl.com